السَّعَادَةُ فِي القَنَاعَةِ

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزيز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

السَّعادةُ فِي القَناعةِ[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن القناعة أيها المؤمنون خُلُقُ الأنبياءِ والصَّالحين، وخُلُقِ كلِّ من صار على الصراطِ المستقيم، ولذلك امْتَدح الله ﷻ أنبياءَه ورسلَه بهذا الخُلقِ العظيم، وامْتَدح الله ﷻ الصحابة الكرام بهذا الخُلقِ العظيم، ونبيُّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو سيد الخَلْقِ أجمعين، وهو الذي علَّم الناس

(١) أُلقيت هذه الخطبة بتاريخ ١٤٤٠/٠٦/٢٤هـ، ٢٠١٩/٠٣/٠١م.

القناعة -عليه من ربي أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم-.

ولذلك كان من دُعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»(١).

والمعنى: أن الله تعالى يرزقه ويرزق آله؛ من زوجاته، وأهل بيته -عَلَيْهِم السَّلَام-؛ أن يرزقهم القناعة.

نعمْ عبادَ الله، هكذا كان نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولذلك القناعة خُلقٌ من أجلِّ الأخلاق، ومن أعظمها، ومن أعلاها عند الله ربِّ العالمين؛ لأنَّ:

- القناعة هي الرِّضا بالموجود، وعدمُ التَّشوُّف للمفقود.
- القناعة هي الرِّضا بالحلال، وتركُ الحرام.
- القناعة هي الرِّضا عن الله بما قدَّر وقَضى، وعدم التَّسخُّطِ على ما قضاه الله ﷻ.
- القناعة جنَّةٌ وَارِفَةٌ من السعادة والطمأنينة والراحة.

فما أحوجنا إلى الحديث عن القناعة في وقتٍ كثُر فيه التشكِّي، وكثُر فيه التسخُّط والتذمُّر من كثيرٍ من الناس.

ما أحوجنا إلى القناعة في زمنٍ أصبح كثيرٌ من الناس يَتَهَارَشُون على هذه الدنيا، فكَثُرَ الحسدُ، والقِيلُ والقال، والغيبة والنميمة، والكبْرُ، نسألُ الله السلامة والعافية.

ما أحوجنا إلى القناعة في وقتٍ ارتكسَ الناسُ فيه ارتكاسًا ماديًّا

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥)؛ من طريق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خطيرًا، فأصبحت الدُّنيا أكبر همِّهم، وغاية مقصدِهم، ونسوا أن الله ﷻ هو الذي بيده قِسمة كل شيء؛ فالله ﷻ هو الذي قَسَّم الأخلاق، وقسَّم الأرزاق.

يقول ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢](١).

ويقول ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات: ٢٢-٢٣](٢).

ما أحوجنا إلى الحديث عن القناعة في زمنٍ كثُرت فيه الأزماتُ النفسية، والاضطرابات القلبية، حتى أصبح كثيرٌ من الناس مَرْضَى بسبب عدم القناعة. والقناعة أو عدم القناعة لا يعني أن يكون الإنسان فقيرًا فيقنَع بفقرِه، كلَّا، بل؛ الأمرُ أبعدُ من ذلك.

القناعة تَجري على الفقير وعلى الغني، تجري على كلِّ أحدٍ؛ ولذلك كثيرٌ من الأغنياء من أرباب الأموال فَقَدُوا هذه القناعة، فعاشوا أَلَمًا وحُزنًا وتِيهًا في هذه الدُّنيا، بل؛ أُصيبوا بالأمراض النفسية والقَلْبية، بسبب عدمِ قناعتهم بما قضى الله وقدَّر ورَزَقَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ولذلك القناعة -أيها المؤمنون- ظِلالٌ وارفة، وجنَّةٌ فَيحاء، القناعة حياةٌ طيبة، ولذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(١) ينظر: "تفسير الطبري" (٢١/ ٥٩٢)، و"تفسير البغوي" (٧/ ٢١١).
(٢) ينظر: "تفسير الطبري" (٢٢/ ٤٢٠)، و"زاد المسير" (٤/ ١٦٧).

[النحل:٩٧]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **"الحياة الطيبة هي القناعة"**[(١)].

نعمْ عبادَ الله، ومنْ وَصيَّة رسول الله ﷺ: «**وَاقْنَعْ بِمَا أَتَاكَ الله تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**»[(٢)].

فمتى ما إن تربَّعَتِ القناعةُ على عَرشِ قلبك، وتسلَّلتْ إلى سُويْداء قلبك؛ فإنك -وربِّي- من أغنى الناس، فالإنسان بطَبعه مُحبٌّ للخيرِ ولجمع المال، يقول ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨][(٣)].

والإنسان بطَبعه جمَّاعٌ منَّاع، نعمْ؛ الإنسانُ بطَبعِه جمَّاعٌ منَّاع؛ يُحبُّ جمع المال، ويُحبُّ منعه كذلك: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢][(٤)].

فحينما تأتي القناعة، فترْضَى عن الله ﷻ، تكُنْ قد انْتَصرتَ على نفسك الأمَّارةِ بالسُّوء لك، حينما تدعوك إلى عدم القناعة، انْتَصرتَ عليها انتصارًا عظيمًا، وانتصرتَ على الشيطان الذي يُوَسوس لك،

---

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥/ ١٦٤)، وقال: أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشُّعب؛ من طرق عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وجاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند الطبري في "التفسير" (١٤/ ٣٥٢)، وابن شاهين في "فضائل الأعمال" (٣١٤)، وأبو الشيخ في "أمثال الحديث" (٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد في "المسند" (٨٠٩٥)، وأبو يعلى في "المسند" (٦٢٤٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: **"وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ"**، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٠١).

(٣) ينظر: "تفسير الطبري" (٢٤/ ٥٥٧)، و"تفسير السعدي" (ص: ٩٣٢).

(٤) ينظر: "تفسير البغوي" (٨/ ٢٢٣)، و"تفسير ابن كثير" (٨/ ٢٢٦).

ويأتيك من بين يديك ومن خَلْفِك، ويُخوِّفك الفقرَ والعَيْلَةَ، والله ﷻ يعدُكُم مَغفرةً منه وفضلًا.

ولذلك من قَنَعَه الله ﷻ بما أتاه، فوالله لقد نَال السعادةَ التي لا حدود لها في هذه الدنيا، وعاشَ حياةً طيبة يتلذَّذُ بسرورها ونعيمها، يتلذَّذُ بنعميها، ويُسَرُّ بما يمنحه الله ﷻ فيها من النِّعم التي لا حَدَّ لها.

عبادَ الله، يعيش كثيرٌ من الناس في هذه الدُّنيا التي غَلبتْ فيها المادِيَّات، وغَلب فيها الجشعُ، والطمعُ، والبُخلُ، يعيشون أزمات، ويُحصِّلون عُقَدًا نفسية، أثَّرَتْ على تفكيرهم، وعلى حياتهم، وعلى أبدانهم، فأصبحوا في هذه الدنيا في ألمٍ دائم، وفي وجعٍ مستمر؛ بسبب فقدان هذه القناعة.

واعلموا -يا عبادَ الله- أنَّ من آمَنَ بالقَدرِ، ورَضِيَ بالقضاء، فإنه من أكثر الناس قناعةً بما قدَّر الله وقَضى، ولذلك ما منْ شيءٍ في هذا الوجود إلا وهو بقدر الله رب العالمين.

يقول -سبحانه-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ويقول -سبحانه-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

والنبي ﷺ يقول وهو يُعدِّد أُصول الإيمان: «**وَالْإِيْمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

فإذا آمنتَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، وحُلوِه ومُرِّه، وصغيره وكبيره،

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، والترمذي (٢٦١٠)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والنسائي (٨/ ٩٧)، وابن ماجة (٦٣)؛ من حديث ابن عمرَ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وظاهره وباطنه؛ كنتَ من أهلِ الإيمان، وكنتَ من أسعدِ الناس في هذه الدنيا.

هكذا يكون المؤمن يا عبادَ الله؛ ولذلك من ثمراتِ الإيمان بالقَدَرِ أنه يُوَرِّثُك هذه القناعة، حينما تتربَّعُ على عرشِ قلبكَ يا عبدَ اللهِ، وحينما تتربَّعُ على قلبكِ يا أَمَةَ اللهِ.

نعمْ عبادَ الله، وإنَّ أهل القناعة من أكثر الناس شُكرًا لله ﷻ، ولذلك يشكرون الله على القليل، كما يشكرونه على الكثير، يشكرون الله على المعدوم، كما يشكرونه على الموجود، هكذا هُمْ -عبادَ الله- أهلُ التَّقوى والإيمان.

ولذلك يقول ﷻ: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝﴾ [لقمان:١٤].

ويقول ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝﴾ [سبأ:١٣].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

نعمْ عبادَ الله، هكذا يعيش المؤمن مع هذه القناعة، نعم؛ يعيشُ على شُكر الله ﷻ، قناعةٌ في قلبه، ويقينٌ في جنانه، أن الأمور كلَّها بيدِ الله ﷻ، ويشكر بلسانه، ويشكر بجوارحه.

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ منِّي ثلاثةً ... يَدِي ولِسَانِي والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا(٢)

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، وأحمد في "المسند" (١٨٩٣٤)، وابن حبان (٢٨٩٦)، صهيب بن سنان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) "ربيع الأبرار" (٥/ ٢٧٧).

أهل القناعة يُفسِّرُون كلَّ شيءٍ في هذا الوجود تفسيرًا يربطونه بحِكمةِ الله الحكيم -جَلَّ وَعَلَا وتقدَّسَ-، ولذلك ربُّنا ﷻ قد يجعل العطاء في صورة منع، وقد يجعل المنع في صورة عطاء؛ فكم من معطى محروم، وكم من محروم قد أعطاه الله ﷻ، ولذلك تجد المؤمن يُفسِّر كل ما قدَّره الله ﷻ له تفسيرًا صحيحًا، فيتسلَّل الإيمان إلى قلبه، وتنتشر السعادة، فينفسحَ له صدره، هكذا هو المؤمن.

أيضًا أهلُ القناعة ينظرون إلى من هو دُونهم، ولا ينظرون إلى مَن هو فوقهم في أمور الدنيا؛ اتِّبَاعًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**»(١).

هكذا المؤمن يعيش في هذه الدنيا، والتي تُمثِّل مرحلةً قصيرةً في مراحل حياته، هي قنطرةٌ يَعبُرُها إلى الدار الآخرة، نفسُه وديعةٌ، وعن قريبٍ ستُرَدُّ الودائع، ولذلك المؤمن تجده دائمًا في حمدٍ وشكر.

- إذا جاءت أمور الدنيا نظر إلى من هو دونه.
- وإذا جاءت أمور الآخرة نظر إلى من هو فوقه.

يقول الحسن البصري: "مَن نافسك في دِينك فنافسه، ومن نافسك في دُنياك فارمها في نحره"(٢).

- فإذا كنتَ يا عبدَ الله تسكنُ بيتًا، فإنَّ كثيرًا من الناس يتمنَّون رصيفًا ينامون عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) "آداب الحسن البصري"، لابن الجوزي (ص: ٦٨).

- إذا كنت تَملِك سيارةً بسيطةً، فإن كثيرًا من الخَلقِ، بل؛ ملايين مُمَلْيَنة يتمنَّون دَرَّاجةً يذهبون بها ويعودون.

- إذا كنت تأكل في اليوم ثلاث وجبات فكثيرٌ من الناس لا يجد العِظَام، لا يجد الطعام، ولا كثرة العِظام.

- إذا كنت آمنًا في سرِّبك، معافى في بدنِك، فملايين مُمَلْيَنة من المرضَى الذين لا يجدون الدَّواء، ولا يجدون بُيوتًا تُكِنُّهم، يَفترشون الغَبراء، ويَلتَحِفون السماء.

- إذا كنت يا عبدَ الله لدَيْكَ الكَفَافَ الذي به تقضي يومك وليلتك، فإنَّ كثيرًا من الناس يتسوَّلون على القِمامة، يبحثون عمَّا يأكلون، ويَسُدُّون به جَوعتهم.

هكذا أهلُ القناعة يرضون بما قَسَمَ الله وقدَّر وقضى.

أمرٌ آخر: ربُّنا ﷻ له الحِكمة البالغة في توزيع خيره ورزقه وعطائه ﷻ، يقول -سُبحانه-: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

نعمْ عبادَ الله، حكمة الله بالغة؛ ولذلك:

- مِنَ الناسِ مَنْ لا ينفعُ مَعَه إلا الفَقر، ولو اغتنى لطَغى.

- ومِنَ الناسِ مَنْ لا ينفع مَعَه إلا الغِنى ولو افتقر لكفر.

هذه قِسمة الله ﷻ بين خَلقه وعِباده، هكذا يُقَسِّمُ الله ﷻ الأرزاق، ويُقَسِّمُ الأخلاق.

ولذلك مُهِمٌّ جدًّا يا عُبَيدَ الله، ويا أمَةَ الله أن تتذَكَّروا في هذا الأمر، وأن تَنظُروا إليه نَظرًا إيمانيًّا بعيدًا عن هذه الدُّنيا، التي استولتْ على هذه

القلوب، فأَورَثَتْها قَسوةً وجَفافًا وتَصَحُّرًا -نسأل الله السلامة والعافية-.

ألَا فلتَتَّقُوا الله عبادَ الله، ولتَعلَمُوا أنَّ أهل القناعة ملوكٌ في هذه الدنيا، يقول الشَّافعي [1]:

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

القناعة تجعلك تحمل سَلامًا عالَمِيًّا في صدرك، لكل من تتعايش معه، القناعة تجعلك تنظر إلى الآخرين نظر رحمةٍ ومحبَّةٍ ورِضا، بدل تلك النظرة الحاقدة، تلك النظرة الحاسدة، تلك النفس الهمَّازة، والعين الغمَّازة التي ترى بأن الله ﷻ حينما يُعطي الآخرين لم يَعدِلْ في حُكمه وفي قِسمته -تعالى الله عما يعتقدون علوًا كبيرًا-.

ولذلك أهل القناعة تجدهم من ألين الناس عريكةً، ومن أطيبهم نفسًا، ومن أكثرهم سرورًا وراحةً؛

- إذا أَعطى الله غيرهم حمِدوا الله ﷻ، وشكروه، وفرِحوا لإخوانهم.

- وإذا أَعطاهم الله ﷻ الشيء اليسير قَنِعوا بذلك؛ لعِلمهم بأنَّ هذا هو تقدير الله ربِّ العالمين.

أسأل الله تعالى أن يُقنِّعَنَا بما رَزقنا، وأن يُباركَ لنا فيه، وأسأله ﷻ أن يمنحنا قَناعةً نَرضى بها عن ربِّنا، إنه خير مَسؤول، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) "جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لُغة العرب" (٢/ ٤٢٦).

الخُطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الدَّاعي إلى رِضوانه، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه، وإخوانه، وسلَّمَ تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فاتَّقوا الله يا عبادَ الله، واعلموا أن القناعة تُورِثُ أصحابها عزَّةً لا مثيل لها، نعمْ؛ القناعة تُورِثُ أصحابها عزَّةً لا مثيل لها، ولذلك أهل القناعة وإن كانوا فقراء يحسبهم الناسُ أغنياء، كما قال ﷻ عن المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣].

ولذلك أهل القناعة أهل عزَّة نفس، وشكيمة قلبٍ، أهل إيمانٍ عميق، تتحطَّم على صخرةٍ قلوبهم هذه الدُّنيا بأَسْرِها، ولذلك لا تجدُهم يتسوَّلون، ولا يتشوَّفون ويتطلَّعون إلى الآخرين، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبر عن هذا المال، وأنه حلوةٌ خضِرَة، وأنه من أخذه بحقِّه بورِك له فيه، ومن أخذه بغير حقَّه لم يُبارك الله ﷻ فيه[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٤)؛ من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كثيرٌ من الناس غابَ عنهم هذا الخُلُقُ العظيم، غابَ عنهم خُلقُ القناعةِ، فأصبحوا يتسوَّلون، وأصبحوا يحترفون الكُدية[١]، وأصبح بعضهم ممن لديه كفَافٌ يُريد الزيادة، ولذلك ربُّنا ﷻ توعَّد هذا الصنف بعذابٍ عظيم.

أما في الدُّنيا: فذِلَّةٌ في وجوههم يعرفها الناس أجمعين، ولذلك من سأل الناس من غير حاجة، وإنما لتكثُّرٍ، وإنما لتزيُّدٍ، وإنما لغرضٍ من الأغراض، والله ﷻ قد أعطاه فهؤلاء يُلبسهم الله ﷻ لباس الذلَّة، وينزع عن وجوههم الحياء، هذا الحياء الذي يُغطي الأخلاق كلها.

وأما يوم القيامة: فالله ﷻ يُعاقب هؤلاء المتسوِّلين، هؤلاء الذين لم يقنعوا بما آتاهم الله، هؤلاء الذين يُريدون الثراء الفاحش عن طريق السؤال، أو عن طريق أكل الحرام، أو عن طريق التزيُّدِ غير المشروع، يُعذِّبهم الله ﷻ في وجوههم.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَسْأَلَةُ تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ خُدُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا**»[٢].

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا إِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا،**

---

(١) هو: حرفة السائل الملحَ، ينظر: "تاج العروس" (٣٩/ ٣٨١).

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٥٦٨٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٥١٠)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**الْمَسْأَلَةُ كُدُوحٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».
وأخرجه الترمذي (٦٥٠)، أبو داود (١٦٢٦)، والنسائي في "المجتبى" (٥/ ٩٧)، وابن ماجة (١٨٤٠)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ، أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ**».

فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[١].

وأخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَنَّ مَنْ سَأَلَ النَّاسَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[٢].

فالله ﷻ يُعاقبه في وجهه، فيأتي هذا الوجه، وتلك الجُمجمة عَظمًا، لا لحم فيه، يعرِف الناس بأنَّ هذا سألَ الناس تَكثُّرًا من غيرِ حاجة.

ولذلك القناعة تُورِثك عزَّةً، وأَنَفَةً، وشموخًا، وقوةً، وثباتًا، وشكيمةً، بينما هذا الابتذال، وهذا السؤال من غير ما سبب يُورِثك ذلَّةً، وكفى بها عقوبة.

فاللهَ اللهَ يا عبادَ الله! عِيشوا قناعةً، فالله الله يا عباد الله! عيشوا في هذه الجنة؛ جنَّةِ القناعة، واستظلُّوا بظلالها الوارفة[٣]، ظلالِ القناعة الوارفة، فإنها -وربِّي- جنَّةٌ لا يُدركها أبدًا إلا من تربَّعتِ القناعةُ على عرش قلبه، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم في أمور الدُّنيا، وانظروا إلى من هو تَحتكم؛ حتى لا تزدروا نعمةَ ربِّكم عليكم -جَلَّ وَعَلَا وتقدَّس-.

القناعة -عبادَ الله- شأنها عظيمٌ في دين الله ربِّ العالمين، فتخلَّقوا بهذا الخُلُقِ، وابتدعوا عن كل ما يُؤثِّر عن هذه القناعة، هؤلاء الذين

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤١)، وابن ماجة (١٨٣٨)، وابن حبان (٣٣٩٣)، وأبو يعلى (٦٠٨٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظ مسلم: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ».

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)؛ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظ مسلم: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ».

(٣) أي واسعٌ. ينظر: "الصِّحَاح" (٤/ ١٤٣٨).

يأكلون الحرام، ويأكلون الرِّشْوة، هؤلاء الذين يتحايلون على أموال الناس، انطفَأَ نور القناعة في قلوبهم، واعْتَلَى الطمع والجشع في نفوسهم، حتى أصبحوا يتزيَّدُون ويخلطون المال من حلالٍ وحرام حينما غابت القناعة -نسأل الله أن يُعافينا وإياكم وجميع المسلمين-.

القناعة خُلقٌ عظيم، وسلوكٌ طيب، أتى به دِينُنَا، وأتى به نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والحاجة إليه في هذا الظرف الزماني، وفي هذه المرحلة التي يعيشها الناس أصبح أمرًا في مرتبة الضرورة؛ حيث إنَّ كثيرًا من الناس تسلَّلتْ إليهم أمراضٌ قلبية، وأمراضٌ لِسانية من الغَيبة والنَّميمة، والقِيل والقال، والحسد، والكِبر، والحقد، والكراهية.

حتى إن بعض الناس يعترض على ربِّه بشكل عَمليٍّ، وإن لم ينطِقْ به اللسانُ؛ كيف يُعطي فلانًا وأنا أفضلُ منه؟ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢].

اللهم قَنِّعْنَا بما رزقتنا، وباركْ لنا فيه، اللهُمَّ قنِّعْنَا بما رزقتنا، وبارك لنا فيه، اللهمَّ أَغنِنَا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سِواك، اللهمَّ أَغنِنا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سِواك، اللهمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصرْ عبادك الموحِّدين، واحمِ حوزةَ الدِّين، واجعلنا يا ربَّنا وجميع المسلمين من المتَّقين، واسْلُك بنا سبيل الرَّاشدين!

اللهمَّ وفِّقْ إمامنا ووليَّ أمرنا بتوفيقك، وأيِّده بتأييدك، اللهمَّ انصرْ به دِينك، وأعزَّ به كلمتك، واجعله عونًا وردءً للإسلام والمسلمين، ووفِّق اللهمَّ جميع حُكَّام الإمارات لما تُحب وترضى، وخُذْ بنواصيهم إلى البرِّ والتقوى، واحفظِ اللهمَّ جميع المسلمين والمسلمات، وارحم اللهمَّ

الأموات منهم يا ربَّ العالمين.

اللهم حبِّبْ إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الراشدين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صلَّيْتَ على إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

الدكتور عزيز بن فرحان الجلالي العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi